

المحاضرة 09: فن الأوبرا عند الغربيين

مفهومها: تعتبر الأوبرا من أكثر الفنون المسرحية- الموسيقية الغنائية صعوبة وإمتاعاً وفخامة لما تتطلبه من قدرات عالية في الغناء والموسيقى والرقص التعبيري الذي يحتاج إلى تدريب طويل ومتقن، بالإضافة إلى عناصر أخرى كالحركة وتشكيل المجموعات وثياب وماكياج وإضاءة ورسم باهر للمناظر .

أنواعها: لقد درج الباحثون على تقسيم الأوبرا إلى نوعين رئيسيين:

- 1- الأوبرا الفخمة Grand Opera وتقوم بشكل رئيسي على الغناء كما في أوبرا عايدة. وفيها يتحقق العمل الفني المتكامل والشمولي لاستخدامها الموسيقى والشعر على المسرح، وتعتبر عن النوازع في جموحها وعن الوجدان في مكوناته وتقودنا إلى قيعان المشاعر الإنسانية.
- 2- الأوبرا الهزلية Comic Opera وفيها يمتزج الغناء بالحوار المسرحي، ومنها انبثقت الأوبريت Operetta وهي تجمع ما بين الغناء والحوار غالباً ما يكون موضوعها عاطفياً خفيفاً مرحاً مثل أوبريت العشرة الطيبة لسيد درويش.

قد تأتي الأوبرا الهزلية بعيدة عن الضحك، والأوبرا الفخمة حافلة بالمواقف الهزلية، فما يجمعهما هو انتسابهما إلى الدراما الموسيقية الغنائية، وما يميز بينهما هو مساحات استعمال الحوار والغناء.

نشأتها:

كانت البداية في القرن السادس عشر حين تشكلت في فلورنسا جماعة الأصدقاء من المؤلفين والشعراء وكان همهم إحياء المسرحية اليونانية القديمة ومعرفة كيفية استخدام الإغريق للموسيقى بمصاحبة التمثيل، وكان من بينهم المؤلف الموسيقي والعازف والمغني فينشنسيو غاليلي والد العالم الفلكي الكبير غاليليو . وفي عام 1600م شهد المسرح عرض مسرحية «يوريدتشي» التي كتبها الموسيقار الإيطالي بيرى وقدمت في احتفالات زواج ملك فرنسا هنري السابع من الأميرة الإيطالية ماريا دي ميدتشي وتدور حول قصة أورفيوس المغني البارِع وزوجته الحورية الحسناء يوريدس التي تموت بعضة ثعبان فيتبعها زوجها إلى العالم الأسفل «هيدز» ويناشد حراس الموتى بغنائه وعزفه إعادة زوجته إليه فترق له القلوب ويعطونه زوجته بشرط ألا ينظر إليها حتى يصل العالم الدنيا، لكنه يخل بالشرط فتعود إلى هيدز. وقد جرى تعديل النهاية لتكون نهاية سعيدة.

في عام 1607م قام كلوديو منتفردى بإخراج عمله الأوبرالي الأول «آريانا» ثم أتبعه في العام التالي بتأليف أوبرا «أورفيوس» وموضوعها نفس الموضوع الذي تناوله بيرى وإنما سماها باسم البطلة، واستخدم فيها لأول مرة أوركسترا تتألف من آلات عديدة معلناً بذلك مولد الأوركسترا الحديث.

انتقل فن الدراما الموسيقية الغنائية من إيطاليا إلى إنكلترا ، وبالرغم من أن جماعة المتطهرين (البيوريتان) الذين سيطروا على الحكم عام 1649م وأعدموا الملك تشارلز الأول قد منعوا المسرح إلا أنهم سمحوا بتقدم أوبريتات باعتبار أنها حفلات موسيقية وليست مسرحية وهكذا قدمت أوبرا «حصار رودس» عام 1657م وقد وضع حوارها الشاعر وليام دافينانت، وقد صممت على نسق الأوبرا الإيطالية إلقاء ملحن وأغان مفردة . ثم أتبعها عام 1658م بأوبرا «مظالم الإسبان في بيرو» و أوبرا «سيرة سير فرانسيس دريك» . وفي عام 1660م تنفس المسرحيون الإنكليز الصعداء بانتهاء حكم البيوريتان وعودة تشارلز الثاني إلى العرش. وحول دريدن مسرحية العاصفة لشكسبير إلى أوبريت . كما تم تحويل مسرحية ماكبث إلى أوبريت أيضاً .

هذا النمط الشعبي من الدراما الموسيقية الغنائية لقي إقبالاً جماهيرياً شجع على تأليف أوبريتات أخرى فقد كتب دريدن أوبرا «البيون والبانايوس» 1658م ثم أوبريت الملك آرثر بعد ست سنوات، وتنافس في هذا المجال دورفي و سيتل وآخرون في إنتاج أعمال مماثلة. وثمة فرق بين الأوبريت الإيطالية التي تقوم على الغناء وبين الأوبريت الإنكليزية التي كانت بمثابة مسرحيات استعراضية مع أغنيات كثيرة وحوارات وموسيقى أوركسترالية. وفي عام 1668م كتب النجم الموسيقى الإنكليزي أوبرا «دايدو وآينياس» وتروي قصة قص ملكة قرطاجنة دايدو للأمير الطروادي إينياس.

ومع بداية القرن الثامن عشر بدأت ترجمة بعض الأوبرات الإيطالية إلى الإنكليزية، إلى أن جاء الموسيقار الألماني جورج فريديريك هيندل عام 1710م إلى هانوفر مديراً لفرقتها الموسيقية وكان قد درس الأوبرا الإيطالية في إيطاليا وأخرج في البندقية أوبرا «أجربينا» . وقد استقر هيندل في لندن وتعصب للأوبرا الإيطالية وقدم عام 1711م أوبرا «رينالدوا» التي تميزت بألحانها الأخاذة ومناظرها الساحرة، وكان لنجاحه وتعصبه للأوبرا الإيطالية الدور في إضعاف الأوبريت الإنكليزية، إلى أن جاء الكاتب الإنكليزي جون جي ليكتب أوبرا الصعلوك ويسخر من الأوبرا الإيطالية، وقد قدمت لأول مرة في عام 1728م ونجحت نجاحاً مذهلاً وأصبحت أغانيها على كل لسان مما حدا بآخرين إلى تقليدها لكن أهم أوبريت جاءت بعدها هي «القهرمان» لشريدان عام 1775م. ولأن أوبرا الصعلوك ليست كغيرها فهي لا تتحدث عن عوالم السحر والأساطير والفانتازيا وإنما عن شرائح

اجتماعية من الطبقة الدنيا وتصور الفساد السياسي والاجتماعي والحالة الزرية للسجون الانكليزية فقد ظلت حية إلى الآن, وقد اقتبسها بريخت بموضوعها وشخصياتها فأعد منها أوبريت القروش الثلاثة والتي وضع موسيقاها الموسيقار الألماني كورت فابل.

انتقل فن الأوبرا من مهدها الأول في إيطاليا إلى باقي أنحاء العالم وتنوعت موضوعاتها ومدارسها وظهرت روائع خالدة في هذا المجالات فكان منها: الكلاسيكي مثل: «دون جوان والناي المسحور» لموزار. والرومانسي مثل: «تويستان وايزولده» و«بارسيفال» لفاغنر. والواقعي مثل «بوريس غودونوف» لموسور غسكي, و«كارمن» لجورج بيزيه. والرمزي: مثل (بيلياس وميليزاندا) لديبوسي. وكان منها الحديث مثل (فوزيك) لألبان بيرغ.

هناك في أقصى الشرق, في الصين, نشأ نوع من الأوبرا لم يتأثر بالأوبرا الإيطالية, وهو مغاير لها. تسمى أوبرا بكين, وهي فن فلكوري ينبع من حياة عامة الناس, ولكل قصة شخصياتها. وهي أشهر فن تُعرف به المسارح الصينية, و محط اهتمام الأجانب وكبار الشخصيات العالمية التي تزور الصين. للمكياج والأزياء وألوانهما ورسوماتهما مدلولات رمزية هامة جداً في هذا الفن التقليدي فاللون الأبيض مثلاً يعكس شخصية غدارة وشريرة, والأسود يدل على الشجاعة, أما الأحمر فيدل على الإخلاص, وعادة ما تكون هذه الألوان مبهرة ذلك أن أوبرا بكين كانت تؤدي في ضوء مصابيح زيتية ضعيفة الإضاءة, أما الرسومات فهي تدل على مكانة الشخصية, التين يدل مثلاً على مكانة عالية للرجل, كذلك الطاووس بالنسبة للمرأة, ولأوبرا بكين تقاليدها الخاصة في الفرحة فأن يشرب الجمهور الشاي ويتناول بعض المكسرات ويثرثر أثناء العرض هذا طبيعي, والممثل لا يتأثر بذلك لأنه يندمج مع الشخصية ويدوب فيها, فلا يشعر بما يحدث حوله. وممثلو أوبرا بكين يتمتعون بمهارات فنية عالية ومتنوعة, فهم يتقنون الغناء الأوبرالي بصوت عال جداً, ذلك أن العروض كانت تؤدي في الماضي في الهواء الطلق, كما يتقنون الإلقاء والقراءة التعبيرية والتمثيل والرقص, ناهيك عن فنون القتال الصينية في بعض الأدوار والحركات البهلوانية.